من ديوان البغضاء :

ألســت التى . . . ؟؟

للأستاذ محمود محمد شاكر

بَلَى ! كنتِ فى قلبى سِرَاجاً يضيئه
فيفترُّ عن أنوارِه كلُّ جانبِ
وكنتِ حياة للحياةِ تمدُّها   بأفراحِها فى عابسات المصائب
وكنتِ لىَ البرَّ الوَديعَ إذا غلت   بأمواجها وادَّافعت بالمناكب
وكنتِ نسيما واللّظى ينشفُ اللّظى
ويتركُ ظِل النّوْح ظلّ اللّواهب
وكنتِ ملاذى والشؤون كأنّها   من الدّمع ينبوعٌ يجيش بغارب
وكنتِ إذا ما العينُ مدّت هيامها   إليكِ تلقّتها أحنُّ الترائب
وكنتِ كأنفاسِ الرياضِ ، عبيرُها
على الفاقدِ المحزون فَرْحة آيب
بَلَى ! كنتِ... كنت السحرَ تبدو صدورُه
من الخير تخفى منه شرَّ العواقب
أرى الحيَّة الرقطاء أجملَ منظراً   وألينَ مسًّا من ثُدِىِّ الكواعب
إذا ما تراءتها العيونُ بريئةً   من الخوف خالَتها دُعابة لاعب
تدانَى إلى اللاّهى دنوَّ مُقارِبٍ   فيدنو ويُدْنِى كفّه كالمُداعب
ألا ارْفَعْ يداً ، واذهب بنفسك رهبةً
فمن حُسْنها نابٌ شــــديد المعاطب
بَلَى ! كنتِ ... إذْ عينى عليها غشاوةٌ
وإذْ أَرتدى من سوادِ الغياهب
وأخرى على عينِ البصيرة خيَّلت
لنفسى هداها بالأمانى الكواذب
أرى من تكاذيب الخيالِ كأنّنى   إلى جنة الفردوس أحدو ركائبى
أغنى لآمالى لأبلغ غايتى   وأدرك لذاتى ، وأجنى مطالبى
وما ذاكِ إلا راحةُ القلب بالهوى   وبالوُدِّ فى عيشٍ شديد المتاعب
وأنْ أَرِدَ الماء الزلالَ . . . ولم أَرِدْ
وقد عشت دهراً — غيرَ رَنْق المشارب
ألا فاعلمى أنى ظَمِئت ، وأنّنى   تجنبت جُهدى المَاءَجمّ الشوائب
فجئتُـــك ظمآناً يموتُ بغُـلةٍ
فأغريت بى الغُيلاتِ من كل جانب
لقد كنتُ خِلواً أنتحى حيث أشتهى
وأرْضَى وآبى مُقدِماً غير هائبِ
تسهّلُ لى الصعب الأبىَّ عزيمتى   ويكفُلُ لى صدق قضاء مآربى
وأرمى بنفسى فى المهالك باسماً   لأنقذَ منها باسماً غيرَ خائب
فواحزنا . . . ! أضلّت عزمى وهمّتى
وأيتَمت أفكارى وَضيعت وَاجبى
تخشّعت تحت الحُبِّ وَالوجد وَالجوى
وَطول اضطرابى فى الهموم الغوالب
أذَلَّ شبابى الحبُّ حتى رأيتُنى   أمرُّ بأترابى مرور المُجانِبِ
وَأحسدُهمْ مِمّا لقيت ... وَإنّنى   لأخشى عليهم مِحنتى وَتجاربى
ألا وَيحها ! ! كم بت أرقُبُ طيفها !
وَكم سهرت عينى نجىّ الكواكب !
وَكم طُفت بالبيداء أطلب خــلوة !
وَأرسل طَرْفى فى ضلال المذاهب !
أمثّلها حتى أكادَ أمسها !   وَألقى إليها ما تضمُّ جوانبى !
وَأشتاقُها وَالبحر بينى وَبينها   وَبيدٌ تعاوت بالرِّياح الغواضب!
فلما التقينا ضمّنا الشوق وَالهوى
وَكان حديث الوصل صمت الرغائب
وَلكن . . . رمت بينى وَبينك بعدهُ
ضريبة أنثى . . . وَهى شرُّ الضرائب
فأطلقت فى إثرى الضوارى مُجدة   تعان على أنيابها بالمخالب
تمزّقُنى ألحاظها وَعيونُها   كأنى أُرْمى بالسهام الصوائب
يفزّعُنى ظِلّى إذا ما لمحتُه   وَقد غالنى رُعبى وَسُدّت مهاربى
فما كدْت أنجو بالحشاشة بعدما   تلقيت من حُبيك شرّ النواكب
ألا لاَ تقولى كيف كنت !!.. فإننى
أرى كلَّ أنثى شرُّها غيرُ غائب

[البقيــة فى ذيل الصفحة التالية]